

الإسلاميات التطبيقية والمناهج النقدية المعاصرة عند محمد أركون  
الإسلاميات التطبيقية والمناهج النقدية المعاصرة عند محمد أركون  
د. نعيمة محمد بولكعبيات  
جامعة الإخوة منتوري قسنطينة - ١ - ، الجزائر.

**الملخص:**

مع تحولات الفكر ما بعد حداثي اختلفت الموازين والأهداف، فلم تعد المناهج النقدية مجرد آليات لمقاربة النصوص الأدبية فقط بل أصبحت عبارة عن مشاريع فلسفية وفكرية وحضارية تحاول إعادة قراءة الكائن في ضوء الممكن، وهذا التوجه تأثر به أقطاب الفكر الفلسفي العربي المعاصر، الذي بات همهم الوحيد هو النهوض بالفكر العربي وإنعاشه والسير به نحو مواكبة الفكر الغربي. فبرزت على الساحة الفكرية العربية مشاريع لـ نقد العقل العربي أو نقد العقل الإسلامي. وفي هذه الورقة البحثية ستقف على مشروع المفكر العربي محمد أركون الذي قدم مشروعا نقديا أراد من خلاله تفكيك العقل الإسلامي معتمدا على توليفة من المناهج الغربية الحدائيه، وهو ما عرف عنده بالإسلاميات التطبيقية التي تحاول تجاوز الإسلاميه التقليديه من جهة والخطاب الاستشراقي الفيلولوجي من جهة ثانية. والسؤال الذي يطرح نفسه: هل استطاع أركون تحقيق مشروعه في نقد العقل الإسلامي؟ وكيف تمكن من ترويض توليفة المناهج النقدية الحدائيه التي اعتمد عليها في مشروعه؟ وكيف حدد أبعاد خطابه النقدي وبناء مفاهيمه المنهجية والنقدية في الاشتغال الحدائيه على القرآن الكريم. وفي هذا السياق كان لزاما علينا البحث في مفهوم الإسلاميات التطبيقية والوقوف عند المحطات النقدية والمعرفية التي استعان بها أركون للوصول إلى تحقيق أهدافه، ومناقشة أهم المفردات التي تقدمها لتفكيك العقل الإسلامي.

**الكلمات المفتاحية:** الإسلاميات التطبيقية، الخطاب الديني، المناهج النقدية، الحدائيه، العقل الإسلامي.

**فكرة البحث:** البحث في مفهوم الإسلاميات التطبيقية عند محمد أركون.

**مشكلة البحث:** هل استطاع أركون تشكيل ما يعرف بالإسلاميات التطبيقية في ضوء المناهج النقدية التي اعتمد عليها في دراسة الخطاب الديني؟

منهج البحث: إن الهدف من هذه الدراسة هو الولوج إلى النصوص الأركونية ومساءلة رؤيته اتجاه الخطاب الديني، واستكناه مفهوم الإسلاميات التطبيقية، لهذا فقد عمل البحث على تحليل مقولات أركون وتفكيك مقاصدها، واستنباط المناهج النقدية التي استعان بها.

**خطة البحث:**

**تمهيد**

١. المناهج النقدية الحدائيه والخطاب الديني.
٢. الخطاب الديني في مشروع أركون.
٣. الإسلاميات التطبيقية وآليات القراءة الأركونية للخطاب الديني.

خاتمة .

في نهاية القرن الماضي شهد الفكر العربي محاولات متعددة للتحرر من الدوغمائية التي عاش فيها لفترة زمنية معتبرة، سعت هذه المشاريع الفكرية والفلسفية إلى إعادة قراءة التاريخ العربي وأيضا محاولات لتفكيك المعتقدات الراسخة والأفكار الجامدة. وكان مشروع المفكر الجزائري محمد أركون ضمن هذه المشاريع التي حاول فيها زعزعة المفاهيم الثابتة والأصنام الجامدة. واعتمد على ترسانة من المناهج النقدية والنظريات المعرفية لزحزحة هذا الفكر من جموده. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل استطاع أركون أن يفكك العقل العربي والولوج إلى القضايا التي كانت نسيا منسيا في هذا الفكر؟ ولماذا اعتمد أركون على هذه الترسانة المنهجية في مشروعه؟ وهل تحقق حلمه الفكري في إنشاء الإسلاميات التطبيقية؟

## I. الخطاب الديني في مشروع أركون

الدراسات العربية الكلاسيكية هي دراسات ساعدت على تجميد العقل العربي من منطلقات الفكر الحدائثي، لهذا كان لا بد من الخروج من هذه الدراسات التقليدية والنهوض بالفكر العربي نحو التحرر والانفتاح، ولن يكون ذلك إلا بالسير في طريق العقل الغربي الذي أنتج مناهجا فلسفية ونقدية ساعدته على التحرر من قيود التقليد والجمود الفكري. فالحدائث الغربية هي مخرج العقل من تمركزه حول التراث والمعتقد، ولقد صرح أركون قائلا: «لقد ربنا الحدائث الأوروبية، منذ القرن الثامن عشر على الأقل، على فكرة أن العقل قد تحرر نهائيا من الإكراهات القسرية لتحرر الدوغمائي...»<sup>(1)</sup>، وهذا المنطلق الذي اختاره أركون هو مسار أرادته لنفسه عن وعي وقناعة يقينية جعلته لا يتوانى في الرد على منتقدي منهجه، يقول: «إن أولئك الذين يلومونني على الاهتمام بالتنظير المنهجي والابستيمولوجي وإهمال القيام بالدراسات الأكاديمية الدقيقة وتجميع المعلومات والتبخر فيها، يستطيعون أن يقيسوا إلى مدى تعاني فيه الدراسات الإسلامية من ضعف المناقشات النظرية والابستيمولوجية»<sup>(2)</sup>. لقد اختار أركون أن يفكك العقل الإسلامي ويعيد قراءته وبناءه من جديد على طريقة الحدائث الغربية التي نظر إليها باعتبارها «انتصار للعقل الفلسفي والتنويري على العقل اللاهوتي والنبوي. وهذا الانتصار الذي حصل بصورة تدريجية، والذي استغرق قرونا واقتضى جهودا خارقة من الاشتغال على الذات، كانت ثمرته تحرير الروح واستقلالية الذات البشرية»<sup>(3)</sup>. لهذا كانت الفكرة الأساسية التي انطلق منها هي إدخال المجتمعات العربية والإسلامية إلى عالم الحدائث التي حررت العقل الغربي «من بواطن العقل اللاهوتي الذي كان سائدا في القرون الوسطى. ومعنى استقلالية الذات تعامل الإنسان مع نفسه كذات واعية وسيدة، مريدة وفاعلة. وهذا هو مبدأ الذاتية. أما تحرر العقل والروح»<sup>(4)</sup>. وللانخراط في هذا العام يجب «أن نجتاز مسيرة الحدائث التي قطعها

الإسلاميات التطبيقية والمناهج النقدية المعاصرة عند محمد أركون  
 الغرب، عينا عينا وشبرا شبرا»<sup>(٥)</sup>، أي تتبع مسار الحداثة كما جاءت في الفكر  
 الغربي، يقول: «نحن ننخرط في الحداثة عبر حركتين: الأولى هي استدراك ما فات،  
 والثانية هي الانخراط في نقد الحداثة القائمة التي تم تجاوزها»<sup>(٦)</sup>.  
 إن أركون يدعو إلى انفتاح العقل العربي والإسلامي خاصة على مبادئ الفكر الغربي  
 الذي جاء بالحداثة والتدبر فيها للخروج من العصر الكلاسيكي المتحكم في العقل  
 الإسلامي، بالاعتماد على «علم الألسنيات الحديثة وكيفية تفسير النصوص القديمة  
 واستخلاص أكبر ما يمكن استخلاصه منها. ينبغي أن يفتحوا كل الأبواب التي طال  
 إغلاقها وكل النوافذ وأن يهدموا الجدران التاريخية التي عزلتهم عن بعضهم بعضا  
 لفترة طويلة جدا...»<sup>(٧)</sup>، ويكون هذا عندما يستطيع المفكرون الإسلاميون تجاوز العقل  
 اللاهوتي الذي سيطر عليهم لمدة زمنية طويلة وفتح «الأضابير المغلقة المستعصية  
 والخلافت المزممة التي يبدو من شدة رسوخها أن لا حل لها. والواقع أنه لا حل لها  
 ما دما منغلقت داخل إطار السياج العقلي الدوغمائي للفكر التقليدي القروسطي»<sup>(٨)</sup>.  
 والمناهج التي استعان بها في زحزحته لهذه الدوغمائية الفكرية امتزجت بين الألسنية  
 الحديثة، والبنوية، والتفكيكية، والتأويلية، والأنثروبولوجيا وحفريات فوكو، وعلم  
 النفس، وعلم الاجتماع، لدراسة المعتقدات الدينية دراسة علمية نقدية على طريقة  
 عصر الأنوار الأوروبية والتحرر من أرثودوكسية العصور الوسطى وسيطرت  
 اللاهوت على العقل الإنساني. وقد أوضح ذلك في كتابه "قضايا في نقد العقل الديني-  
 كيف نفهم الإسلام اليوم؟"، وأيضا في عدة دراسات له، بأن "العقل الدوغمائي أغلق  
 ما كان مفتوحا ومفتحا، وغير مسار ما كان يمكن التفكير فيه بل ويجب التفكير فيه،  
 والدوغمائية (\*\*)) عنده هي قوة بنوية تكوينية، فقد اختار مبدأ الشك والتفكير من أجل  
 القضاء على دوغمائية التفكير الإسلامي الكلاسيكي الذي صنع لنفسه أصناما فكرية  
 جعلها أساسا مركزيا لتفكيره، فالعقل «في السياق الإسلامي تتراكم عليه الإكراهات  
 القسرية وتتضاعف. وقد خلق هو بالذات هذه الإكراهات لنفسه عندما كان يناضل من  
 أجل الاستقلال وتوصل إلى تشكيل دول وطنية أو أنظمة سياسية تعلن ذاتها بصفتها  
 المالك الأوحد للحقيقة الدينية الأرثوذكسية»<sup>(٩)</sup>. وأنطلق أركون في دراسته للفكر  
 الإسلامي من التراث، فقد كان ممن ينادون بإعادة قراءة التراث بآليات معرفية  
 ومناهج نقدية حديثة، فكل تغيير يبدأ من إعادة قراءة التراث وكل تأجيل «لعملية نقد  
 التراث يفسح المجال لنشر روايت العصور الوسطى»<sup>(١٠)</sup>. والمشكلة الحقيقية التي  
 يعاني منها العقل الإسلامي هو عدم قدرته على مواجهة تراثه، بل هم «يحاولون أن  
 يتحاشوه بكل وسيلة، هذا مع العلم بأن طريق التحرير لن يمر إلا من هنا»<sup>(١١)</sup>. ومن  
 أجل قراءة هذا التراث حاول أركون تقديم مفهوما يلخص رؤيته في نقد الفكر  
 الإسلامي، فالتراث هو كل ما «يرسخ مقولاته وتعاليمه على قاعدة استخدام معين  
 ومنظم للعقل. وينطبق ذلك سواء أكان هذا التراث مأخوذا بالمعنى الانتولوجي

للعادات والتقاليد المحددة محليا، أم كان مأخوذاً بمعنى التراث الديني الأكثر اتساعاً وقابلية للتعميم الكوني»<sup>(١٢)</sup>، فهو كل ما يشكل الأرتوذكسية الفكرية ويجعل منها مسلمات مقدسة في فكر بشري، وأيضا في كل نظام عقائدي فيصبح مع مرور الزمن من المحرمات وأيضا من المواضيع التي يستحيل التفكير فيها وتدخل ضمن خانة اللامفكر فيه في الفكر الإنساني.

يرتبط التراث بالحدثة ومن أجل تحديثه علينا أن نعيد تحديد مصطلح التراث، ويكون ذلك في ضرورة التفرقة بين التراث التاريخي والتراث الميثولوجي (الأسطوري)<sup>(١٣)</sup>، فالعقل الديني هو جزء من هذا التراث، فهو «يقع تحت كل أشكال التراث أو يقف وراءها. وهو في الوقت ذاته يمثل نتيجتها أو محصولتها»<sup>(١٤)</sup>، ولهذا وكننتيجة حتمية يجب إعادة قراءة هذا العقل الإنساني الذي أوجد هذا التراث والبحث في طبيعته من أجل تفكيك كل الترسبات الخاطئة في نظر أركون، وكان لزاما عليه أن ينطلق من نقد التراث بشكل تشكلاته. وقسمه أركون إلى قسمين: تراث ديني وآخر اتنولوجي يتشكل من العادات والتقاليد. وكل تراث يتشكل من عناصر ثلاثة هي: العنف، التقديس، الحقيقة، فاعنف في نظر أركون وسيلة شرعية للدفاع عن التراث المقدس لكل مجتمع، وهذا المقدس هو جوهر الحقيقة المقدسة التي يرفض الفكر الإنساني مواجهتها والتحرر من سلطتها.

غير أن أركون يقدم لنا في كتابه الفكر الإسلامي قراءة علمية، مفهوما آخر للتراث وسمه بالتراث الإلهي. وهذا التراث المطلق حاول «النضال في مكة والمدينة أن يرسخ نفسه داخل ساحة اجتماعية وثقافية معادية ومضادة، ثم أصبح بعدئذ التراث الإسلامي»<sup>(١٥)</sup>، فقد نظر للإسلام «كدين وكتراث فكري»<sup>(١٦)</sup>، مما أدى به لطرح عديد الأسئلة عن طريقة دراسة التراث الإسلامي، فهل يستند إلى مفهوم الإسلام بالمعنى المتعالي الذي مثل، بالنسبة إليه، التعبير المستقيم (الأرتوذكسي) الوحيد عن التراث المثالي للأمة المثالية<sup>(١٧)</sup>، الذي ينقسم إلى سني وشيعي. وهذه الحركات التي ينتمي إليها الإسلام جعلت منه «إسلام التراث المفتت والسكولاستيكي والجامد والتكراري أكثر مما هو لإسلام التراث الحيوي والمنفتح وذو القدرة الكبيرة على التمثل والتفاعل والدمج... أقصد الإسلام الذي يعود إلى فترة العصر الذهبي للدولة الخليفة... وهذه الحالة تبرر القيام بإعادة تركيب أو لملمة التراث الإسلامي الكلي»<sup>(١٨)</sup>. لهذا أصبحت إعادة التفكير في التراث الإسلامي الكلي من الأمور الضرورية التي تتيح للفكر الإسلامي للخروج من التفكير الأرتوذكسي. انطلق مناقشة التراث من الخطاب الديني «متسلحا بمنهجيته ذات القدرة الهائلة على الحفر والسبر،... لكي يقوم بتلغيمها أو تفكيكها من الداخل. فهو يملك مفاتيح معرفية تتيح له أن يعرف خارطة القلعة وأن يكشف عن مخابئها السرية»<sup>(١٩)</sup>، لأنها ارتبطت، على حد تعبير أركون، بالمشروعات السياسية للإمبراطوريات والممالك والخلافة، لهذا تحولت هذه

الإسلاميات التطبيقية والمناهج النقدية المعاصرة عند محمد أركون

الخطابات الدينية عن مسارها الحقيقي لترتبط بهذا الفكر اللاهوتي. ويحدد هدفه من مشروعه ومنهجه بقوله: «إن نقد العقل الإسلامي يهدف إلى تفكيك كل هذا البناء الشامخ والمقدس الذي يحتمون به اليوم من أجل الحصول على المشروعية أو من أجل المحافظة عليها. ولكنه لم يتعرض أبدا في تاريخه لهذا النقد التفكيكي- التركيبي الذي أدعوا إليه منذ سنوات عديدة. لم أقل بأنه تفكيكي فقط، وإنما قلت بأنه تركيبي أيضا لأنه يقدم بديلا ذا مصداقية، على عكس ذلك النقد المتعالي والاحتقاري للمستشرقين... وذلك لأن العمل التفكيكي - التركيبي كان قد تم في المجتمعات الأوروبية على كافة الأصعدة بفضل المنهجية التاريخية والفلسفية والفقهية»<sup>(٢٠)</sup>.

## II. المناهج النقدية الحداثية والخطاب الديني

إن عملية التفكيك الأركونية هي عملية إعادة بناء وتركيب أو تشكيل تسبقها عملية تشكيل في كل ما بني عليه العقل الإسلامي أو كما وسمه بالموروث الديني فلقد «أن الأوان للانخراط في أكبر عملية تفكيك في تاريخنا الفكري والثقافي»<sup>(٢١)</sup>، وهذه العملية «تجيء عملية التركيب أو إيجاد البديل، ولكن ليس قبلها... وهذا لا يعني تدمير التراث كليا كما يتوهم بعضهم... هذا يعني أن البناء الجديد (أو البديل الجديد) الذي أدعو إليه لا يعني القطيعة المطلقة مع الماضي، وإنما يعني القطيعة مع ما هو ميت في هذا الماضي. ينبغي جرد الماضي كليا (أو تفكيك التراث كليا) من أجل تمييز العناصر الحية فيه عن العناصر الميتة»<sup>(٢٢)</sup>. وعملينا التفكيك والتركيب «لن يتما إلا بعد مسار طويل من الاشتغال على الذات وإعداد كفاءاتها المعرفية»<sup>(٢٣)</sup>. وهذا العقل الدوغمائي تشكلت طبقاته التاريخية من تراكمات ومخلفات فكرية وعقائدية واجتماعية وأيضا سياسية، وعملية التفكيك تستلزم الحفر في أعماق طبقات هذا الفكر. إن المجتمعات الإسلامية «بحاجة إلى ثورة فكرية حقيقية تذهب إلى أعماق الأشياء وتغير منظورها جذريا للتراث. وهكذا وبدلا من أن يستمر التراث كقوة معيقة تشدنا إلى الخلف في كل مرة، يصبح قوة تحريرية تساعدنا على الإقلاع والانطلاق الحضاري»<sup>(٢٤)</sup>؛ وإذن ستتحقق الثورة الفكرية، من منظور أركون، بعد عملية مسح شاملة لكل التراث «نقد العقل الإسلامي (بالمعنى الألسني والتاريخي والأنثروبولوجي والفلسفي لكلمة نقد»<sup>(٢٥)</sup>.

إن عملية الانخراط في الحياة الإنسانية والحداثة الفكرية تتم عبر عملية جراحية عميقة لكل التراث، ويقصد بذلك «أن كل الموروث الديني والعقائدي لمختلف المذاهب والطوائف ينبغي أن يتعرض لأكثر عملية غريبة من خلال تطبيق مناهج علم الألسنيات الحديثة، وعلم التاريخ الحديث، وعلم الاجتماع، وعلم النفس التاريخي، وعلم الأنثروبولوجيا، وبالطبع علوم الأديان المقارنة والأنثروبولوجيا الدينية واللاهوت المقارن»<sup>(٢٦)</sup>، فهذه المناهج النقدية الحداثية هي الترياق الذي سيشفى الحضارة الإسلامية من مرضها الفكري اللاهوتي وستجعلها في مسار الحضارات الإنسانية

الأخرى وخاصة الأوروبية، أو يحذر أركون من مغبة الاصطدام الحضاري والصراع الوجودي بين الإسلام والغرب. وأهم الآليات النقدية الغربية التي اعتمد عليها أركون في مشروعه الفكري والنقدي هي:

### (١) المنهج التاريخي

يمثل مصطلح التاريخ قاعدة مركزية في مشروع أركون، فعملية إعادة قراءة الموروث الديني لن يتم إلا عبر مسح تاريخي شامل لهذا الموروث الديني والفكري بكل تشكيلاته السياسية والايديولوجية والثقافية، فمشروعه يسعى إلى إعادة قراءة التاريخ أو الرجوع إلى الخلف من أجل الحاضر والمستقبل، باستخدام «القراءة التحليلية، المقارنة، الاسترجاعية-المستقبلية، أو التراجعية-التقدمية لكل أنظمة الفكر والتراث الثقافي المكتوبة أو الشفهية والتي كانت قد انتشرت وترعرعت وتنافست في حوض البحر الأبيض المتوسط»<sup>(٢٧)</sup>، وهذه العملية لا بد لها من الانطلاق من النقد التاريخي الذي يخصص في طبقات التاريخ وإعادة قراءته.

انطلق أركون في دراسته التاريخية من أفكار "لوسيان فيفر" الفرنسي، فكانت بمثابة الإلهام المنهجي والمعرفي له؛ فقد استطاعت أن توضح له معالم الطريق الذي سيسلكه. وعبر شدة إعجابه بهذا الناقد بقوله: «ولولا مجيء لوسيان فيفر من باريس وإلقائه لتلك المحاضرة العصماء وحضوري إياها بطريقة تشبه الصدفة لربما بقيت نائماً كغيري دون أن أحس بشيء»<sup>(٢٨)</sup>. ولم يعتمد أركون على حوليات فيفر في منهجه التاريخي فقط بل طعمها بعلم النفس التاريخي الذي يركز «على أهمية الخيال والمخيال والأسطورة والوعي الجماعي كعامل أساسي ومحرك في التاريخ الإسلامي بالإضافة إلى الاقتصاد والماديات»<sup>(٢٩)</sup>. ولا ريب في أن هذا المزج بين مختلف النظريات له مزالقه وسلبياته، فقد تعامل أركون مع النص الإسلامي بكل تمفصلاته من فرضياته الخاصة والتي جعل منها مسلمات لا تقبل التشكيك، فكيف استطاع تصويغ فكرة الأسطورة والحقيقة، الثابت والمتغير؟ التاريخي والاجتماعي مع المخيالي والأسطوري؟! لقد أراد أركون التركيز على مراحل خاصة من التاريخ، كانت ضمن المغضوب عليها في الدراسات العربية والإسلامية، ومن خلالها يعيد قراءة التاريخ في ضوء النصوص المقدسة والمركزية، فهو ربط بين النص والتاريخ، مما يطرح تساؤلات كثيرة حول المنهج التاريخي الذي استعان به محمد أركون؟.

### الأسنية والأنثربولوجيا

لقد اعتبر أركون الفكر الإسلامي مجموعة من الطبقات الفكرية التي تشكلت عبر مراحل مختلفة من الحياة الفكرية، ولا يمكن حفر هذه الطبقات إلا بالاعتماد على الأنثربولوجيا الفوكونية والألسنيات السوسيرية، وصرح بذلك في جل دراساته، يقول: «رحت أتبع منهجية الألسنيات التي كانت صاعدة بقوة في الستينات مع أسماء

الإسلاميات التطبيقية والمناهج النقدية المعاصرة عند محمد أركون  
سوسير، وجاكسون، وبنفست، إلخ... وكان للألسنيات أهمية كبرى لي»<sup>(٣٠)</sup>، فهو المنهج الوحيد، بالنسبة إليه، القادر على الولوج إلى أعماق النصوص القديمة وتفكيك النصوص الإسلامية تفكيكا لغويا أولا وقبل كل شيء. فالدراسة اللسانية هي السلاح الأول في خوضه لهذه الحرب الفكرية والمنهجية على النصوص الإسلامية؛ فهذه المحركة التي شنها أركون على هذا الفكر تتطلب ترسانة منهجية واستراتيجية معرفية تتطلب الاستعانة بالتاريخ والأنثروبولوجيا.. إلخ.

### III. الإسلاميات التطبيقية وآليات القراءة الأركونية للخطاب الديني

الإسلاميات التطبيقية هو المصطلح البديل للإسلاميات الكلاسيكية التي أراد أركون زحزحتها وتفكيكها بكل الآليات التاريخية والسوسيولوجية والأنثروبولوجية واللغوية، وذلك من أجل «خلق الظروف الملائمة لممارسة فكر إسلامي محرر من المحرمات (tabous) العتيقة، والميثولوجيات البالية، ومحرراً من الإيديولوجيات الناشئة حديثاً»<sup>(٣١)</sup>، التي طغت على الإسلاميات الكلاسيكية المرتكزة «على المسلمات المعرفية (أبستيمي) للقرون الوسطى. ذلك أنه يخلط بين الأسطوري والتاريخي، ثم يقوم بعملية تكريس دوغمائية للقيم الأخلاقية والدينية، وتأكيد تيولوجي لتفوقية المؤمن على غير المؤمن، والمسلم على غير المسلم، وتقديس اللغة. ثم التركيز على قدسية المعنى المرسل من قبل الله ووحدانيته (معنوياً)»<sup>(٣٢)</sup>، مما يستوجب ضرورة التحرر من هذا الفكر والدخول في عالمية الفكر الإسلامي أو الإنسان العالمي الذي يتفاعل مع الفكر الإنساني عموماً وبيئته عن الاعتقادات الميثولوجية. إن هدف الإسلاميات التطبيقية، كما حددها أركون، هو دراسة الإسلام وفق منظورين اثنين، أولهما هو دراسته «كفاعلية علمية داخلية للفكر الإسلامي، ذلك أنها تريد أن تستبدل بالتراث الافتخاري والهجومى الطويل الذي ميز موقف الإسلام من الأديان الأخرى»<sup>(٣٣)</sup>، وهذا بزحزحة الجانب الأسطوري من المعتقد الإسلامي ودراسته دراسة مقارنة مع بقية الأديان الأخرى كما درس الانجيل والتوراة. وهذا سيؤدي إلى تحقيق الفعالية الثانية والتي تجعل من الظاهرة الإسلامية «فاعلية علمية متضامنة مع الفكر المعاصر كله»<sup>(٣٤)</sup>. فالاستراتيجية التي تقوم عليها الإسلاميات التطبيقية هي دراسة الإسلام «ضمن المساهمة العامة لإنجاز الأنثروبولوجيا الدينية... إن الأمر لا يتعلق بإضافة قراءة أخرى إلى تلك القراءات التي أثارها الكتاب الموحى»<sup>(٣٥)</sup>، وهو ما قام به الغرب مع كتبهم، وهو بذلك يريد أن يخضع «القرآن لمحك النقد التاريخي المقارن، وللتحليل الألسني التفكيكي، وللتأمل الفلسفي المتعلق بإنتاج المعنى وتوسعته وتحولاته وانهدامه»<sup>(٣٦)</sup>، وبهذا يستطيع تحقيق عالمية الفكر الديني. ومن أجل تحقيق هذا الرهان انطلق بدراسة تاريخية الظاهرة الإسلامية ومحاولة الوقوف على تشكيلات هذا التراث الديني والفصل بين جانبه الأسطوري والواقعي، وبهذا البحث في اللامفكر فيه في هذا

التراث الديني. ويمكن الحديث عن خاصية قراءة القرآن عند أركان في نقطتين بارزتين هما: اللامفكر فيه، والكتابة والشفوية.

### ١) اللامفكر فيه والمسكوت عنه في القرآن

لقد كان الهدف الأساسي لأركان في مشروع نقده للعقل الإسلامي هو زحزحة المشروع الإسلامية الكلاسيكية من أجل التوصل إلى مشروعية كونية جديدة، وذلك بالخروج من السياج الدوغمائي المغلق للفكر الإسلامي ووضعها «كلها على مسافة متساوية من العملية النقدية»<sup>(٣٧)</sup>، ويقصد بذلك دخول المناطق المحرمة والممنوعة وهو ما أطلق عليه مصطلح اللامفكر فيه أو المستحيل التفكير فيه. ويحدده بقوله: «...ألح على دراسة اللامفكر فيه والمستحيل التفكير فيه اللذين يصاحبان بالضرورة كل نظام فكري منته. ولهذا السبب ألح أيضا على ضرورة اكتشاف البقايا الثقافية والسوسيولوجية المهمشة التي فرزها انتصار السلطات التعسفية»<sup>(٣٨)</sup>. هذه السلطة التي خلقت طابوهات من المحرمات امتنع العقل الإسلامي من دخولها وتحديد خطوطها، فهذا الفكر الإسلامي اللاهوتي أنتج - بالنسبة إلى أركان - مساحات فكرية عريضة من الممنوعات والمحرمات التي تعترض مع مبادئ الخطابات الرسمية والسلطوية، وهو المهمش والمسكوت عنه في الثقافة الإسلامية. وعرف أركان اللامفكر فيه بقوله: «إن الممكن التفكير فيه (Le pensable) بالنسبة لأمة لغوية ما في فترة ما هو الشيء الذي يمكن إيضاحه والتفكير به بمساعدة الجهاز العقلي المتوفر في تلك الفترة. إن هذا التعريف يحدد فوراً ما هو مستحيل التفكير وما هو مستحيل إيضاحه في الفترة ذاتها والبيئة الاجتماعية- الثقافية ذاتها، وذلك إما بسبب محدودية النظام المعرفي وطراز العقلانية الخاص بالنظام الاجتماعي- الثقافي الموجود...»<sup>(٣٩)</sup>، وهذا اللامفكر فيه هو المنهج السلبي الذي أدى إلى محدودية العقل وانغلاقه على ثوابت وأفكار ومعتقدات مجدها الفكر وخضع لها، ومن أمثلة المسكوت عنه واللامفكر فيه التي طرحها، مسألة قضية خلق القرآن، التي طمست في التاريخ وطبقاته السفلية، وعليه يجب «أن نحفر عليها أركولوجيا، أن ننشئها من تحت الأرض، أن نذكر الناس بها. وكل ذلك من أجل أن نفتح ثغرة في الجدار المسدود للتاريخ...»<sup>(٤٠)</sup>. ومهمة التفكير في المستحيل التفكير فيه هي خرق الطابوهات والحواجز الدوغمائية وزحزحة هذه الترسبات الجيولوجية التي تشكلت عبر مراحل التاريخ الفكري والإسلامي و«إغناء تاريخ الفكر عن طريق إضاءة الرهانات المعرفية والثقافية والايديولوجية للتوترات الموجودة بين التيارات الفكرية العديدة»<sup>(٤١)</sup>. فعملية زحزحة هذه الطابوهات والمحرمات ومحدودية التفكير الإسلامي هي أهداف خطيرة وصعبة خاضها أركان في مشروعه الفكري والحضاري.



تعد شفوية القرآن وكتابته من القضايا الشائكة التي عرفها الفكر الإسلامي، وتعرض لها أركون في مشروعه ، وقدم من خلالها فكرة شفاهية القرآن الكريم، يقول: «ما الذي أقصده بالظاهرة القرآنية؟ أقصد القرآن كحدث يحصل لأول مرة في التاريخ، وبشكل أدق أقصد ما يلي: التجلي التاريخي لخطاب شفهي في زمان ومكان محددين تماما»<sup>(٤٢)</sup>. وألح أركون على خاصية شفاهية القرآن الكريم الذي نزل على الرسول عليه الصلاة والسلام مشافهة ثم تم تدوينه ونسخه، ونجد ذلك في جل مؤلفاته ولعل سبب الاهتمام البالغ الذي أولاه لهذه القضية مع شرحها في نقده للعقل الديني حيث يقول: «لم أكن أهدف إلى خلع التقديس عليه أو نزع التقديس عنه، وإنما كنت أهدف إلى وصف الأمور كما هي. كنت أهدف في المرحلة الأولى من الخطة المنهجية إلى لفت الانتباه إلى المشروعية اللغوية، والثقافية، والاجتماعية لإنتاج هذا الخطاب من قبل متكلم ما»<sup>(٤٣)</sup>. كما عد أركون أن خاصية شفاهية القرآن الكريم ثم نسخه كتابتنا وتدوينه لم يؤخذ بعين الاعتبار في الدرس الفقهي ؛ لأن «الانتقال من مرحلة الخطاب الشفهي إلى مرحلة المدونة النصية الرسمية المغلقة (أي إلى مرحلة المصحف)، لم يتم إلا بعد حصول الكثير من عمليات الحذف والانتخاب والتلاعبات اللغوية التي تحصل دائما في مثل هذه الحالات. فليس كل الخطاب الشفهي يدون وإنما هناك أشياء تُفقد أثناء الطريق»<sup>(٤٤)</sup>. وفي هذا تلميح واضح من أركون على التشكيك في شرعية جمع القرآن الكريم في المصحف وتدوينه، والظروف المصاحبة لعملية التدوين. فدراسة الحالة الشفهية التي ضاعت إلى الأبد/ وبين الحالة الكتابية للنص الذي كان له تاريخ شفهي قبل أن يسجل<sup>(٤٥)</sup>، واستعان أركون في دراسة هذه المسألة بما توصلت إليه الألسنية، والسميائية والأنثروبولوجيا، خاصة أعمال الأنثروبولوجي الإنجليزي جاك غودي.

إن مناقشة فكرة شفوية القرآن وتدوينه من القضايا اللامفكر فيها في الفكر الإسلامي الذي عدّها أركون نتاج «تيولوجيا منغلقة داخل حدودها ومشغولة فقط بتفسير خطاب لا تستطيع أن تدرك تاريخيته ولا ماديته اللغوية ولا آليته الدلالية والسميائية»<sup>(٤٦)</sup>. والملاحظ من اهتمام أركون بشفوية القرآن الكريم أنه يحاول محاكاة الدراسات الغربية لدياناتهم، يقول: «أعود إلى أهمية التفريق بين مرحلة الخطاب الشفهي ومرحلة الخطاب المدون أو المكتوب وأقول بأنه يتيح لنا أن نلقي إضاءات جديدة ليس فقط على النص القرآني وإنما أيضا على كل النصوص الدينية التأسيسية الأخرى كالنوراة والإنجيل...»<sup>(٤٧)</sup>، فهو يعد دراسة الغربيين لكتبهم المقدسة وفق مناهج حديثة وإعادة تأويلها وفق الفلسفة التأويلية هو بمثابة انتصار العقل للغربي على اللاهوت، وخرق مناطق اللامفكر فيه. فهم استطاعوا أن يجعلوا كل القضايا ممكنة التفكير فيها ولا وجود لما يعرف المستحيل التفكير فيه.

إن عملية تدوين القرآن الكريم مرت عبر مراحل وشهدت أحداثا هامة سجلها التاريخ الاسلامي، وهذه الأحداث استخدمها أركون ليؤكد في عملية تدوين القرآن الكريم في مصحف واحد، ويعبر عن ذلك في مواضع كثيرة من مؤلفاته، ومن ذلك قوله: « كما أننا لم نشهد تلك النقاشات الحامية التي دارت حول تثبيت النسخة الرسمية من المصحف، ولا نعرف عنها إلا ما قاله لنا التراث المرسخ بعد أن انتصر من انتصر وانهزم من انهزم. والتراث الرسمي المفروض بقوة السلطة لا يحتفظ عادة إلا برواية الخط المنتصر ويحذف بقية الروايات الأخرى»<sup>(٤٨)</sup>. كما أن أركون يجعل من الدراسات الاسلامية التي فسرت القرآن الكريم هي بداية الأرثوذكسية في العقل الاسلامي التي أدت إلى تشكيل « الخط الرسمي الذي شاع وهيمن فيما بعد بصفته الخط الوحيد الصحيح، وما عداه هرطقة وضلال...»<sup>(٤٩)</sup>. إن محاكاة أركون للفكر الغربي ومحاولاته في تفكيك الفكر الاسلامي وكل ما يتعلق بالحياة الانسانية الاسلامية جعلته يغالي في طروحاته، بل عملية التشكيك في كل الثوابت التي ينطلق منها الفكر الاسلامي أوقعتة في مغالطات خطيرة. فمحاولات زحزحة الفكر لا تعني أن كل الفكر الاسلامي هو فكر أرثوذكسي مغلق، بالإضافة إلى ذلك فإن مساحات اللامفكر فيه أو المستحيل التفكير فيه الذي طرحها أركون غير منطقية ولا أساس لها من الصحة والدقة العلمية، فتاريخ الفكر الاسلامي أثبت أن هذه المواضيع طرحت للنقاش في فترات زمنية بعيدة أي قبل ظهور المناهج الحدائيه الغربية، أو الدراسات الحدائيه للديانات الأخرى. والأهم من ذلك فالقرآن الكريم محفوظ من رب العزة، يقول سبحانه وتعالى في سورة القيامة ( إِنْ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ) ( الآية ١٧ )، ويقول أيضا ( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ) ( الحجر، الآية ٩ ). فالقرآن الكريم محفوظ منذ نزوله على محمد صلى الله عليه وسلم وحتى تنتهي الحياة. وهذا أكبر رد على شكوك الحدائين الذين يحاولون تطبيق الفلاسفات الغربية والمناهج النقدية الحدائيه وإسقاطها على الفكر الاسلامي اسقاطا متحجرا وصنميا.

#### الخاتمة

أراد أركون أن يماثل الفكر الغربي بكل مغربته المنهجية والفكرية، فعمل على دراسة التراث العربي الاسلامي بالفكر الغربي، بالطريقة نفسها التي طبقها علماء فرنسا على تراثهم اللاتيني المسيحي والأوروبي. غير أن هذا المشروع بقي مجرد عملية تطبيق لبعض المناهج النقدية على النص الديني واجباره على الخضوع لهذه المناهج. إن اعتماد أركون على هذه المناهج المختلفة والمتعددة من حيث الأسس المعرفية والآليات الإجرائية أدخلت مشروعه في هلامية منهجية ولم يستطع بذلك الخروج بنتائج توافق غايته النظرية وهي تحقيق الإسلاميات التطبيقية. فبقي مشروعه مجرد طموح نظري لم يستطع تجاوز المغريات النظرية والوصول إلى الحقيقة التطبيقية.

- محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل (نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي)، تر: هاشم صالح، دار الساقى، بيروت، ط: ٠١ .
- محمد أركون، الإسلام، أوروبا، الغرب، رهانات المعنى وإرادات الهيمنة، تر: هاشم صالح، دار الساقى، بيروت، ط: ٠٢، ٢٠٠١ .
- محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم، تر: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، دت، د ط.
- محمد أركون، الفكر الإسلامي.. قراءة علمية، تر: هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط: ٠٢، ١٩٩٦ .
- محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، تر: هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط: ٠٢، ١٩٩٦ .
- محمد أركون، الفكر الإسلامي، نقد واجتهاد، تر: هاشم صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دت، د ط.

(١) ينظر/محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل (نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي)، تر: هاشم صالح، دار الساقى، بيروت، ط: ٠١، ١٩٩٩، ص. ١٩ .

(٢) المرجع نفسه، ص. ١١٨ .

(٣) علي حرب، الماهية والمنطق، نحو منطق تحويلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط: ٠١، ١٩٩٨، ص. ٢١٤ .

(٤) المرجع نفسه، ص. ٢١٤ .

(٥) المرجع نفسه، ص. ٢١٧ .

(٦) المرجع نفسه، ص. ٢١٨ .

(٧) محمد أركون، الإسلام، أوروبا، الغرب، رهانات المعنى وإرادات الهيمنة، تر: هاشم صالح، دار الساقى، بيروت، ط: ٠٢، ٢٠٠١، ص. ١٩٥ .

(٨) المرجع نفسه، ص. ١٩٦ .

(\*\*) الدوغمانية يقابلها في العربية كلمة العقائدية وقدمها مترجم أعمال أركون "هاشم صالح" في مقدمة كتاب "الفكر الإسلامي.. قراءة علمية" في دراسته "بين مفهوم الأرثوذكسية والعقلية الدوغمانية". حيث يقدم في دراسته أن "العقلية الدوغمانية تركز أساساً على ثنائية ضدية حادة هي: نظام من الإيمان أو العقائد/نظام من اللاإيمان واللاعقائد. بكلمة أخرى أكثر وضوحاً فإن العقلية الدوغمانية ترتبط بشدة وبصرامة بمجموعة من المبادئ العقائدية وترفض بنفس الشدة والصرامة مجموعة أخرى وتعتبرها لاغية لا معنى لها"// ينظر هاشم صالح، الفكر الإسلامي.. قراءة علمية، ص. ٥٥ . فالمقصود بالدوغمانية الفكر المتحجر والمنغلق التي تجعل الشخص غير قادر «على تغيير جهازه الفكري أو العقلي عندما تتطلب الشروط الموضوعية ذلك، وعدم القدرة على إعادة ترتيب أو تركيب حقل ما تتواجد فيه عدة حلول لمشكلة واحدة وذلك بهدف حل هذه المشكلة بفاعلية أكبر»// المرجع نفسه، ص. ٥٥ .

(٩) محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل (نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي)، ص. ١٩ .

(١٠) محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم، تر: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، دت، ص. ٢٥٠ .

(١١) محمد أركون، المرجع نفسه، ص. ٢٥١ .

(١٢) محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم، ص. ٢٣٢ .

(١٣) ينظر/ محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، تر: هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط: ٠٢، ١٩٩٦، ص. ٥٩ .

- (١٤) - محمد أركون، المرجع نفسه، ص. ٢٣٤ .
- (١٥) - محمد أركون، الفكر الإسلامي ..قراءة علمية، تر: هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط: ٠٢ ، ١٩٩٦، ص. ١٩ .
- (١٦) - محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص. ٥٥ .
- (١٧) - ينظر / محمد أركون، الفكر الإسلامي..قراءة علمية، ص. ١٩ .
- (١٨) - محمد أركون، الفكر الإسلامي ..قراءة علمية، ص. ٢٩ .
- (١٩) - علي حرب، الممنوع والممتنع، نقد الذات المفكرة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط: ٠١ ، ١٩٩٥، ص. ١٢١ .
- (٢٠) - المرجع نفسه، ص. ١١٩ .
- (٢١) - محمد أركون، الإسلام، أوروبا... الغرب، ص. ٢٠٠ .
- (٢٢) - المرجع نفسه، ص. ٢٠٠ .
- (٢٣) - نائلة أبي نادر، التراث والمنهج بين أركون والجابري، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط: ٠١ ، ٢٠٠٨، ص. ٤٠ .
- (٢٤) - محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، ص. ٢٢٤ .
- (٢٥) - محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، ص. ٢٢٤ .
- (٢٦) - محمد أركون، الإسلام، أوروبا... الغرب المرجع نفسه، ص. ٢٠٠ .
- (٢٧) - محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، ص. ٤٧ .
- (٢٨) - محمد أركون، الفكر الإسلامي ، نقد واجتهاد، تر: هاشم صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دت، ط: ٢٤٩ .
- (٢٩) - محمد أركون، الفكر الإسلامي ، نقد واجتهاد، ص. ٢٤٩ .
- (٣٠) - محمد أركون، الفكر الإسلامي، نقد واجتهاد، ص. ٢٤٩ .
- (٣١) - محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص. ٥٨ .
- (٣٢) - تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص. ٥٥ .
- (٣٣) - تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص. ٥٦ .
- (٣٤) - تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص. ٥٦ .
- (٣٥) - تاريخية الفكر العربي المعاصر، ص. ٥٦ .
- (٣٦) - تاريخية الفكر العربي المعاصر، ص. ٥٦ .
- (٣٧) - محمد أركون، الإسلام، أوروبا... الغرب المرجع نفسه، ص. ٢٠٠ .
- (٣٨) - محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص. ٣٩ .
- (٣٩) - المرجع نفسه، ص. ٢٥٤ .
- (٤٠) - محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم، ص. ٢٧٨ .
- (٤١) - المرجع نفسه، ص. ٢٥٣ .
- (٤٢) - محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، ص. ١٨٦ .
- (٤٣) - المرجع نفسه، ص. ١٨٦ .
- (٤٤) - المرجع نفسه، ص. ١٨٨ .
- (٤٥) - ينظر / محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ص. ١٣٤ .
- (٤٦) - ينظر / محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص. ٩٨ .
- (٤٧) - ينظر/ المرجع نفسه، ص. ١٨٨ .
- (٤٨) - محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، ص. ١٨٩ .
- (٤٩) - المرجع نفسه، ص. ١٨٩ .

**Applied Islamics and Critical Methodologies by Muhammad Arkon**

**Abstract**

The mutations that the modern reflection knew have largely influenced and changed the balances as well as the objectives. This what explains that critical methodologies are not anymore a simple device to approach literary texts, but a philosophical and civilizational project that tends to re-read the existing in the light of what is realisable. The most eminent modern Arabic philosophers were impressed by this new orientation, thus they save no effort to develop and refresh the Arabic reflection in a serious trial to keep up with the Western one. In this research paper, I will try to investigate Muhammad Arkon who presented a critical project in the studying of the human mind. In this project, he tried to decorticate the Islamic mind relying on a combination of modern and post-modern Western methodologies known as applied islamics that tends to surpass the traditional islamics from one side, and from the other side, the orientalist philological discourse. In fact, many questions arise: did Muhammad Arkon realise his Islamic mind criticism project? And how could he combine and adopt many modern critical methodologies in his project? And how did he delimit the perspectives of his critical discourse and build his own critical and methodological concepts in studying the Holly Quran?

In this respect, it was an urgent need to investigate the notion of applied islamics and stand at the critical and the cognitive stations developed by Arkon to realise his project and to discuss his main ideas about the decortication of the Islamic mind.

**Key words:** Applied islamics, Religious discourse, Critical methodologies, Modernity, Islamic mind.